أزياء الجنود الروم في جيش السلطان

يغمراسن ابن زيان "633-681هـ/1235-1282 م"

دراسة في الزي العسكري

أ. سرحان حليم

أستاذ مساعد

قسم التاريخ- جامعة المسيلة

Résumé :

Le costume militaire approprié aux soldats de la milice chrétienne de Tlemcen sous le règne du sultan yaghumurasan ben zayyan, Fut l'un des plus beau et magnifique accoutrement que l'occident musulman ait connus au moyen âge.

Les troupes enrôlées dans l'armée du royaume de Tlemcen à cette époque cadencèrent leurs pas en parade soldatesque sur l'esplanade d'El-Menia, équipés à l'espagnole et rehaussés par des pièces de fer plein, ce cela était sous les étendards de la chrétienneté.

من الدراسات الطريفة والشيقة والنادرة التي لفتت انتباهي في مجالي التاريخ و الآثار موضوع أزياء الجنود الروم في جيش السلطان يغمراسن بن زيان، لما لها من دور في الكشف عن مدى الرقي الحضاري والانفتاح الإجتماعي والإقتصادي الذي كان سائدا في بلاط تلمسان في فترة كانت فيها منطقة الغرب الإسلامي قاطبة على فوهة بركان ، فضلا على أن المؤرخين في ذلك العصر أغفلوا الحديث في مصنفاتهم عن هذا الأمر- الأزياء العسكرية - بجهل منهم أو بتركيز اهتمامهم على تسجيل الوقائع السياسية والدسائس والفتن والقلاقل في قصور الأمراء دون سواها من أحداث مما صعب علي الخوض في هذا المضمار، وكل ما كتب في هذا الصدد لا يعدو أن يكون شذرات ضئيلة لاتكاد تفيد الدارس في شيء إلا الاستنباط لا غير.إذن ما هي الظروف والملابسات التي جعلت يغمراسن يقدم على طلب العون من الملوك الأسبان ملتمسا إمداده بفرق من الجنود المسيحيين ، وبخاصة الرماة منهم.؟ و ما هي أزياؤهم وملبوساتهم العسكرية التي تدثروا بها طيلة استخدامهم في جيش هذا السلطان، فهل كانت تلمسانية محضة أم أنها كانت غير ذلك.؟ كل هذا سنحاول الإجابة عنه و تسليط الأضواء الكاشفة حوله، لعلنا بذلك نساهم ولو بالنزر اليسير في إزاحة الستار عنه وتبيان ما اكتنفه من غموض لقلة النصوص الموثقة وشحتها فيما يلي:

يذكر يحي ابن خلدون الذي تولى منصب كاتب إنشاء الملك أبي حمو بتلمسان، وأصبح من المقربين إليه منذ سنة(769/1367م)، في كتابه بغية الرواد، أن السلطان يغمراسن بن زيان بن ثابت بن

محمد، تولى مقاليد الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية بعد أخيه أبي عزة، وهو أول من خلط زي البداوة بأبهة الملك بداية من سنة(633هـ-1235م)[1]. ""وأنه اتخذ الآلة ورتب الجنود والمسالح، واستلحق العساكر الروم"[2]، حينما أرسل وفدا إلى برشلونة سنة(648هـ/1250م) برئاسة أبي عمران موسى و تاجر يدعى رامون ذي بانيرس (Ramon Debanyres), ولما وصلت البعثة إلى بلاط الملك خايمي الملقب بالفاتح، عرضت عليه بعض الأمور، ومنها طلب المساعدة بفرقة من الفرسان القطلانيين للعمل في جيش بني عبد الواد، وتبعا لهذا الأمر أرسلت إليه فرقة عسكرية من الفرسان القطلانيين و الجنود الأراغونيين بقيادة أحد الرهبان يدعى الأب فيلارجو(père de vilargut)، ولما انتهت مهمته على رأس هذه الفرقة، أسندت قيادتها فيما بعد إلى غيوم غالسيران ذي كارتلا(Guillem Galceran de cartela)، ويظهر حسب النصوص التاريخية أن عدد المجندين يومئذ بلغ ألفي فارس(2000)[3]. وقد انضم بعض الفرسان و رماة الرجل المحدقين للقوس الإفرنجية(•) الخاصة بأهل الأندلس من القشتاليين إلى جيشه بعد معركة تامزددكت قرب وجدة إثر انهزام السلطان السعيد أبو الحسن علي بن إدريس الموحدي[4]، الذي قتل من طرف فارس بني عبد الواد، يوسف بن خزرون الملقب بالشيطان، وقد أثخن هذا الأخير في جيش السلطان المهزوم حتى تغلب عليه، وأمكن منه ثم نهب محلته وما كان بها من" الأخبية الحسنة والغازات

---

[1]يحي بن خلدون: **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تقديم وتحقيق عبد الحميد حاجيات، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر،2007.ص،204.أنظر: محمود مقديش: **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تحقيق علي الزواري و محمد محفوظ، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،1988.،ص، 533. وانظر: Abou Zakarya Yahia - Ibn Khaldoun : **Histoire des Beni Abd El Wad rois de Tlemcen**, traduit en Français et annoté par Alfred Bel ,ENAG editions,Alger,2011.pp,146-157

[2] عبد الرحمان بن خلدون: **تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**،ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة ومراجعة سهيل زكار،ج7، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2000.ص،106.

[3] Mas-Latri :**Relations et commerce de L'Afrique septentrionale ou Maghreb avec Les nations chrétiennes au moyen âge** ,Librairie de Firmin-Didot et C.imprimeurs de L'institut, Paris,1886.p,144.

•**قوس الرجل**: قوس يطلق بإحدى رجلي الرامي أو بالاثنتين معا، والقوس القدمي أو الإفرنجي(قوس الرجل) قوس أنبوبي يطلق بالرجل مع اليد.للتوسع أنظر: عبد الجبار محمود السامرائي: " **تقنية السلاح عند العرب**" مجلة المورد، المجلد الرابع عشر، العدد الرابع، الدار الوطنية للنشر والتوزيع والإعلان ، بغداد، العراق، 1985.ص، 10.

[4]علي بن هذيل الأندلسي: **تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس**، تحقيق عارف احمد عبد الغني و محمود خلف البادي، دار كنان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا،2010.ص، 277. أنظر:محمد المنوني: **ورقات عن حضارة المرينيين**، ط3، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2000. ص، 100.

الرفيعة والذخيرة التي كانت في فسطاطه" ، ومن جملتها مصحف عثمان[5]. وكان أهل المغرب يعتنون بقوس الرجل ويفضلونها على قوس اليد الشيء الذي جعل يغمراسن يجند أولئك الرماة ويحتفي بهم، واستمر وجود رماة الرجل الأسبان و الأندلسيين في جيوش بني عبد الواد الزيانيين حتى حكم السلطان أبي حمو موسى الثاني حسبما يستنتج من كتابي واسطة السلوك، و زهر البستان، وأغلب الظن أن هؤلاء القشتاليين كانو ينتمون إلى الفرقتين اللتين استقدمهما المستنصر الموحدي وبقيتا في يد سلاطين الدولة المؤمنية حتى اضمحلالها، فواحدة منها كانت تعسكر في مدينة مكناس تحت إمرة قائد قشتالي يدعى غونزالو (Gonzalo) والأخرى كانت في مراكش تحت قيادة بطرس (Pierre) شقيق ألفونش الثاني ملك البرتغال[6]. ويخبرنا عبد الرحمان بن خلدون أن يغمراسن" كان معتدا بهم مباهيا بهم وقد ناولهم حبل عنايته فاعتزوا به واستفحل أمرهم"[7]. ومن جملة الفتن والقلاقل الداخلية التي وقعت في عهد هذا السلطان المؤامرة الشنعاء التي دبرها هؤلاء الروم لقلب نظام الحكم عندما استعرض يغمراسن الحشود العسكرية في يوم التمييز بالمنية خارج باب القرمدين باعتداء قائدهم عليه غير انه نجا منها وقتل أخوه محمد بدلا عنه خلالها[8]. وقد ذهب بعض المؤرخين المعاصرين وعلى رأسهم خالد بلعربي إلى القول أن محاولة اغتيال يغمراسن من طرف جنود الروم كانت مكيدة دبرها محمد بن زيان الذي أوعز إلى قائد الروم بقتله وبما أن العملية فشلت أجهزوا على محمد هذا تفاديا للوقيعة بهم بعد ذلك[9]. ويضيف عبد الرحمان بن خلدون كنتيجة حتمية لتلك المؤامرة الدنيئة وما لاقاه مدبروها من جزاء:" فأحيط بهم من كل جانب وتناولتهم

---

[5] أحمد أبو العباس الناصري: **كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق وتعليق ولداي المؤلف، جعفر الناصري و محمد الناصري، ج2، دار الكتاب، الدار البيضاء، المملكة المغربية،1954،ص،225.أنظر: محمود مقديش: **المصدر السابق**: ص، 533.

[6] أبو حمو موسى الثاني: **واسطة السلوك في سياسة الملوك**، تحقيق وتعليق محمود بوترعة، دار الشيماء للنشرو التوزيع، ودار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر، 2012. ص، 154.أنظر: - مؤلف مجهول : **زهر البستان في دولة بني زيان، (السفر الثاني)**، محفوظ في: he John Rylands University Library of Manchester Micro Film of Rylands Arabic، ومسجل تحت رقم : (79) Ms 283 : ورقة، 101.، وانظر: مؤلف مجهول: **زهر البستان في دولة بني زيان، (السفر الثاني)**، تحقيق عبد الحميد حاجيات، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011. ص، 139. وانظر: - Charles Emmanuel dufourcq : **« Les relations du Maroc et de la Castille pendant la première moitié du XIII siècle ».** Revue D' Histoire et de civilisation du Maghreb, n°5, faculté des lettres ,Alger,1968.p41. - Charles Emmanuel dufourcq : **« Les Espagnols et Le Royaume de Tlemcen aux treizième et quatorzième siècles»,** in boletin de la real academia de buenas letras de Barcelona, tome, 20 - 21. ,Barcelona, Espagne. 1948.pp.3-20.

[7] عبد الرحمان بن خلدون: **المصدر السابق**، ص، 106.

[8] محمد بن رمضان شاوش: **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1995.ص، 77.

[9] خالد بلعربي: **الدولة الزيانية في عهد يغمراسن دراسة تاريخية وحضارية، (633-681هـ/1235-1282م)**، الألمعية للنشر والتوزيع، قسنطينة، 2011.ص، 142.

أيدي الهلاك بكل مهلك قصعا بالرماح و هبرا بالسيوف وشدخا بالعصي و الحجارة حتى استلحموا وكان يوما مشهودا." [10] وكان ذلك خلال سنة(652هـ/1253م) ولم يستخدم بعدها جنود الروم بتلمسان حذرا من غائلتهم على حد قول هذا الأخير[11].(11) إلا أن بعض النصوص اللاتينية تنفي ذلك وتشير إلى أن يغمراسن استقدم مرة أخرى خمسمائة(500) فارس من الروم في حربه ضد بني مرين الذين تمكنوا هم أيضا من إبادتهم عن بكرة أبيهم ولم يتركوا منهم أحد، كما أن محمد بن يوسف الغالب بالله سلطان غرناطة لتلك الفترة صالح يغمراسن وبعث إليه أموالا جليلة وهدية عظيمة على أن يشغل سلطان بني مرين بالإغارة على بلاده حتى يمنعه الجواز إلى الأندلس حسب نص إبن أبي زرع[12].(12) ومهما يكن من شيء فقد حذر الملك الزياني إبنه وولي عهده أبا عثمان من مواجهة بني مرين وأوصاه عوضا عن ملاقاتهم بأن يقوم بتوسيع رقعة ملكه نحو الاقاليم الشرقية وتحصينها حتى تكون في منعة ويكون ذلك خيرا له ولطموحاته السياسية حينما تصير مقاليد الحكم إليه[13].(13) الأمر الذي دفع بأبي زكرياء الحفصي إلى تشجيع شيوخ قبيلتي توجين ومغراوة ليكونا أندادا ليغمراسن ومنافسين له في المنطقة و منعه وكبحه عن بسط نفوذه وإقافه عند حده وقت اللزوم[14].(14) وهناك ملاحظة مهمة مفادها أن الملوك القطلانيين هم الذين كانوا يتولون بأنفسهم تأجير الجنود الروم " المرتزقة " لسلاطين تلمسان منذ منتصف القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي (7هـ/13م) وقبض الأموال الجزيلة مقابل ذلك، وقد أصبح لهم –جنود الروم- تأثير كبير حتى أن بعضهم انصهر في المجتمع الزياني وكان لهم دور خطير في مختلف الفتن والحروب والتحالفات الرسمية مع الأمراء والحجاب والوزراء وكثيرا ماكانت مؤامرات البلاط ضد السلاطين والحجاب تتم بواسطة هؤلاء المجندين القطلانيين وبتنفيذ من القائد الرومي مثل ماحدث ليغمراسن كما ذكرناه، والذي كان يأتمر في الغالب بأوامر ملك أراغون خايمي بن بيطرة أو بأوامر الكنيسة التي سمحت بدورها أيضا لهذا القائد وفرقته المتكونة من الفرسان ورماة الرجل والمشاة بالعمل عند مستخدمهم ولصالحه

---

[10] عبد الرحمان بن خلدون:**المصدر السابق**،ص، 113. أنظر: مؤلف مجهول: **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، المملكة المغربية، 1972.ص، 80.

[11] نفسه.

[12] علي ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، راجعه عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، المملكة المغربية، 1999، ص، 438. أنظر: رضوان البارودي: **دراسات وبحوث في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس**، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر،2007، ص، 18.

[13] إسماعيل ابن الأحمر: **روضة النسرين في دولة بني مرين**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور،ط3، المطبعة الملكية، الرباط، المملكة المغربية،2003،ص،60.

[14] بوزياني الدراجي: **نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1993 ، ص، 252.

شريطة أن يتم ذلك تحت لواء وعلم مسيحي يحمل شارة مملكتي أراغون أو قشتالة[15]. ويجمع كل من كتب حول موضوع انضمام الجنود الروم إلى جيش بني عبد الواد في عصر يغمراسن، أن هذا الأخير كانت له فرقة أخرى انخرطت في حشوده خلال سنة (679هـ/1280م) بقيادة جوم بيريز(Jaumme perez) الأراغوني، وقد قام البابا نقولا الرابع بنفسه مباركة المجندين الجدد وحثهم على أداء مناسكهم وصلواتهم وفقا للدين المسيحي القويم ورغبهم بالتمسك بمعتقداتهم وتقاليدهم والحفاظ عليها ماستطاعوا إلى ذلك سبيلا و مابقوا في خدمة السلطان الزياني، وأوصاهم ثم حرضهم بعد ذلك على عدم اعتناق الدين الإسلامي والنفور منه[16].[(16)] ويظهر بعد هذا أن هؤلاء الجنود كانوا يتمتعون بالإقامة في حي يعرف بربض النصارى بأحواز تلمسان، كما أذن لهم يغمراسن بممارسة طقوسهم الدينية وإدارة شؤون حياتهم بحرية تامة، فضلا عن إعفائهم من دفع الضرائب والرسوم الجمركية، ورخص لهم الخضوع المباشر لسلطة قوادهم القضائية حسبما ذهب إليه عبد العزيز فيلالي[17]. ومن الأسباب التي دفعت بيغمراسن لإتخاذ جنود الروم في جيشه، مثلما يفهم من النصوص الموثقة أنه كان يريد المباهاة والمفخارة بهم في الحروب من جهة ومضاهاة سمو و بذخ الدولة الموحدية السباقة إلى تجنيد المرتزقة في جيشها في بلاد المغرب من جهة أخرى، زيادة أنه أراد الاحتياط من منافسيه داخل القبيل العبد الوادي ثم إبعاد المهالك ودرء الأخطار التي حاقت به عن اليمين و الشمال متمثلة في أطماع الحفصيين بتونس و المرينيين بفاس المتربصين به الدوائر، جراء انفراط عقد الدولة الموحدية وتمزق أوصالها إذ ذاك، وأصبح رغم أنفه بين حجري الرحى مالم يأخذ بالأسباب اللازمة لدفع كل شر مستطير وشيك عن مملكته، علاوة على أن " السلطان يتأكد في حقه ضرب المصاف ليكون ردءا للمقاتلة أمامه، ذلك أن الروم من قوم متعودين للثبات في الزحف." [18]و أن الحروب كانت على نوعين سواء بالزحف صفوفا مثل قتال العجم " الروم " جميعهم على تعاقب أجيالهم، أو بالكر والفر مثل قتال العرب والبربر من أهل المغرب مسايرة لقول عبد الرحمان بن خلدون[19]. الأمر الذي جعل أولئك الجنود يتميزون عن غيرهم من الحشود العسكرية في الجيش الزياني بلبس الدروع والجواشن والقرقلات والبيض والمغافر الإفرنجية المناسبة للزحف بالصفوف أو الكراديس،

---

[15] عمر سعيدان: **علاقة إسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلثين الأول والثاني من القرن الرابع عشر، دراسة ووثائق (رسائل ومعاهدات) وتعاليق وتحاليل،**منشورات سعيدان، سوسة، الجمهورية التونسية،2002 .ص ص، 50-51 .أنظر : روبار برنشفيك: **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15**، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988. ص، 474.

[16] لسان الدين ابن الخطيب:**اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، صححه ووضع فهارسه محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، مصر، 1347هـ.ص،35.

[17] عبد العزيز فيلالي: **تلمسان في العهد الزياني**، ج1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص، 261.

[18] عبد العزيز فيلالي: **المرجع السابق**، ص، 261.

[19] عبد الرحمان ابن خلدون: **المقدمة**، تحقيق خالد العطار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2004. ص، 258.

والأكيد أنها تلك الآلات و الملبوسات الحربية اللازمة لمثل ذلك القتال، وسنقتصر في هذه الدراسة على ذكر بعض أزياء الجنود الروم التي كانت سائدة في الغرب الإسلامي وقتذاك وتوصيفها فيما يلي:

أولا: زي الرأس. Coiffures et casques

لقد كان لزي الرأس أهمية بالغة لدوره في الوقاية من ضربات السيوف والسهام والرماح، فضلا على أن الصناع أولوه عناية خاصة بحيث اتخذ أشكالا متنوعة ومنها:

أ- البيضة:cervelière

هي آلة من حديد توضع على الرأس لوقاية الضرب ونحوه وليس فيه مايرسل على القفا والأذان، وربما كان ذلك من الزرد، ويطلق عليها الإنجليز(halmet)[20]. وعند ابن منظور تعني الخوذة وكأنه شبهها ببيضة الحديد[21]. وهي أيضا الخوذة من الحديد والفولاذ، كما يطلق عليها أيضا إسم الطشتانيات ومفردها طاشتان، تجعل لها بطانة من القماش أو القطن أو الإسفنج الضيق الأبخاش أي المسامات حتى يمنع الضرب القوي إذا نزل على الخوذة، وينبغي أن يكون أرزاز القنبع غليظا لكي لا تنزل البيضة على أنف لابسها، و تأخذ البيضة شكلا مستديرا باستدارة الرأس، ومقدمتها تسمى القونس، تنتهي في أعلاها بجوسق مدبب من المعدن لتنبوا السيوف عنها إذا باغتتها[22]. وكان رماة الرجل – رماة القوس الإفرنجية- عادة ما يضعون على رؤوسهم غطاء يدعى في الفرنسية ب (coiffe avec ventail)، ويرى بعض مؤرخي الأزياء بأن هذا الغطاء ماهو في واقع الأمر إلا زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة، وحينما يحمى وطيس المعركة يضع الفارس على رأسه بيضة مخروطية تربط بالدرع بواسطة شرائط جلدية و تدعى(Heaume)[23]. وقد كانت البيضة شائعة الاستعمال في جيش مملكة أراغون الذي ينسب إليه الجنود الروم موضوع هذه الدراسة و نذكر منها أربعة أنواع وهي:

1- البيضة العادية:(cervelière simple) مخصصة للجنود البسطاء .

---

[20] أحمد ابن علي القلقشندي: **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**،شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه محمد حسين شمس الدين، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1988.ص،151.

[21] أبي الفضل ابن منظور:**لسان العرب**، ج2، ط4، دار صادر، بيروت، لبنان، 2005، 192.

[22] صالح موسى درادكة: **بحوث في تاريخ العرب قبل الإسلام**، دار شيرين للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1988.ص، 199.أنظر: أحمد مختار العبادي: **صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس**، الناشر منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر،2000، ص، 45.

[23] ابن سيدة: **المخصص**، تحقيق عبد الحميد احمد يوسف هنداوي، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2005،ص، 100.

البيضة بواقية الأنف:(cervelière avec nasal)

البيضة القمعية بواقية أنف أوبدونها:(casque conique avec ou sans nasal)

البيضة الفرنجية: (casque phyrgien) تلبس من طرف الجنود الموسرين فحسب[24].

المغفر:camail **و** barbute

يتفق كل من الفيروز أبادي[25]و القلقشندي[26] على أن المغفر ويسمى " المضمضم" أيضا ما هو في واقع الأمر إلا آلة كالبيضة لكن فيها أطرافا مسدولة على قفا اللابس و أذنيه كما هو حلق يتقنع بها المتسلح وربما جعل وقاية لأنفه من الحديد المبطط. و هذه الآلة تطورت عن البيضة البسيطة سالفة الذكر، بحيث أضيف لها حلقات من زرد لوقاية الرقبة والعنق والكتف أيضا[27]. وخلال فترة موضوع الدراسة أضيفت إلى الملبوسات العسكرية الرومية واقية الكتف (spallière)، وهي صفيحتان من الحديد تطرقان بشكل نصف دائري لتغطية الترقوة و تثبتان بسيور جلدية تمران تحت الإبط يتم ربطهما بإحكام.

ثانيا: زي البدن.Harnais de corps

أهتم الجنود الروم في جيش السلطان يغمراسن بتغطية أبدانهم بجملة من الألبسة الواقية ومنها:

الدرع: Haubert **أو** cotte de maille

لبوس الحديد وثوب للحرب تذكر وتؤنث والجمع أدرع و أدراع ودروع وهو الشائع، وهي جبة من الزرد المنسوج يلبسها المقاتل[28].ويقال لها السرد أيضا، وتعتبر الدرع حياة ثانية لصاحبها لأنها جلد حديدي فوق جلده يقيه طعنات الرماح وضربات السيوف، وقد علم الله النبي داود عليه السلام صناعة الدروع فهو أول من أتخذها وكانت قبل ذلك صفائح، يقول الله تعالى في القرآن " وعلمناه صنعة لبوس لكم" الأنبياء الآية80 و " وألنا له الحديد أن اعمل سابغات " سبأ الآية11، " والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون" النحل الآية81. وتصنع الدرع من أسلاك معدنية يتم تقطيعها إلى حلقات صغيرة بحيث يدخل كل حلقة في حلقة أخرى ويتم تثبيت طرفي الزرفين عن طريق الطرق على الفتحات أو يتم تثبيت الطرفين بمسامير في الثقب الذي سبق إعداده في طرفي قطعة السلك.كما كان يتم اللحام

---

[24] Laure Barthet **: Guide des costumes combattants méridionaux (Toulouse, Catalane ,Aragon)** ,le comité Muret, France,2011. pp ,28-29.

[25] الفيروز أبادي:**القاموس المحيط**، شركة القدس للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2010، ص، 449.

[26] القلقشندي: **المصدر السابق**.ص،152.

[27] Robert Brun : « **Notes sur le commerce des armes à Avignon au XIV Siècle** » , In Bibliothèque de l'école des chartes, tome 109, livraison2, France, 1951, pp-217,218.

[28] ابن منظور: المصدر السابق،ج5، ص،245. أنظر: القلقشندي:المصدر السابق،ج2، ص، 152.

بواسطة تسخين الجزأين المراد تثبيتهما، و عند الوصول لدرجة حرارة معينة يتم الجمع بينهما ويطرق مكان وصولهما ليتم اللحام أخر الأمر. وقد تكون الدرع مسبلة أو قصيرة مختصرة، ويتم نسج الزرد بحيث يترك فتحة أمامية بطول الدرع، ثم توضع أزرار معدنية وتقابلها في الناحية اليسرى عراوى وأبازيم[29]. ويقول الشاعر في شأنها:

وسابغة من جياد الدروع تسمع للسيف فيها صليلا

وهناك الدرع الموضونة أو المضاعفة، التي تضم حلقتين إلى بعضهما، وجاء في شأنها قول الشاعر:

تراه في الأمن في درع مضاعفة لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل

واشتهر عن الجنود القشتاليين والقطلانيين وبخاصة منهم رماة الرجل، خلال هذه المرحلة، لبس الدروع التي كانت تغطي أبدانهم من أعلى الرأس إلى أخمص القدم، كما أحسن أحد الشعراء الأندلسيين صنعا حينما تغزل بأحد الجنود الروم لما لبس درعا حيث قال في هذا المقام:

وأغيد من ظباء الروم عاط بسالفتيه من دمعي فريد

قسا قلبا وشن عليه درعا فظاهره وباطنه حديد

ومن عيوبها – الدرع- أنها مثقلة للراجل متعبة للفارس، غير أنها حصن حصين للابسها، وتذكر بعض النصوص التاريخية أن الفرسان كانوا يتبعون عيوب الدروع لينفذوا طعناتهم من خلالها إلى أجسام خصومهم، وقد لبس جنود الروم فوق الدرع واقية الحرارة (surcot)، وهي لباس طويل يصل إلى الركبة، يحمي لابسه من الحرارة ويمنع الصدأ عن الدرع.

الجوشن:haubergeon

وردت هذه الكلمة في مختار الصحاح بمعنى درع، وعند الفيروز أبادي بالصدر، و أنها في عرف بعض مؤرخي الأزياء تعد صدرية بلا ظهر وهي مؤلفة من ألواح صغار من الحديد مستطيلة الشكل لتقويته أو من القرن أو الجلود التي تكسى بالثياب، والجوشن في بلاد فارس إسم لحلة من الدروع منسوجة على هيئة قميص الزرد بحيث يشتمل على حلقات من أسلاك جعل بين كل واحدة منها والأخرى قطعة صغيرة من

---

[29] محمد بن عبد الله التنسي: **مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان**، حققه وعلق عليه محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1985.ص، 228. وانظر: إبراهيم ماضي: **زي أمراء المماليك في مصر والشام**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2009.ص، 80.

القصدير، وربما هو واقية الصدر ذائعة الصيت الخاصة بالفئات الدنيا في سلم الرتب العسكرية أو المجتمع بمملكة أراغون و المعروفة لديهم في الفرنسية بإسم (gambison)[30] . وقد استعمل لتقوية أقمصة الزرد صفائح مستطيلة الشكل مختلفة الأحجام من المعدن تتداخل أطرافها بعضها تحت بعض في صفوف عمودية لوقاية الصدر والجنبين والظهر، وتلتصق الصفائح بالزرد إما بدمجها بحلق الزرد بواسطة ثقوب على جانبي كل صفيحة، أو بإضافة الصفائح إلى حلق الزرد بتثبيتها فوقه[31].(31) وأغلب الظن أن الجنود الروم في مملكة تلمسان استعملوا الجواشن على غرار أضرابهم الجنود في مملكة بني نصر بغرناطة استنادا إلى نص ابن الخطيب على الرغم من اقتضابه وفيه إشارة إلى أنهم : " ... عدلوا الآن عن هذا الزي إلى الجواشن المختصرة "[32]. وكان هذا الزي على هيئة معطف مسبل يغطي بدن الجندي حتى الركبة ويبلغ متوسط طوله 95 سم و 107 سم، ويبلغ متوسط محيط الوسط بين 102 سم و 115 سم، وهناك جواشن صغيرة تغطي الجزء العلوي من بدن الجندي، وهي مزودة بأكمام تصل حتى منتصف الذراع ومفتوحة من الأمام بطريقة طولية و تقفل بحلق من أعلى الصفائح و أسفلها، أو بإبزيمات معدنية مثبتة في حافتي هذا اللباس[33]. كما هناك الجواشن المفتوحة من الأمام و الخلف، أو من الجانبين ، وقال الشاعر الأندلسي في شأنها:

ولكنه يسعى عليه مفاضة   دلاص كأعيان الجراد المنظم

وعلى شاكلة الجنود الروم فإن نظراءهم العبد الواديين تحت قيادة يغمراسن و أترابهم الحفصيين خلال حكم أبي اسحاق (681هـ/1283) لبسوا هم الآخرون الجواشن حسبما يفهم من نصي ابن الشماع وابن القنفذ القسنطيني[34].

---

[30] محمد ابن ابي بكر الرازي: **مختار الصحاح**، عني بترتيبه محمود خاطر بك، ط 5، مطبعة الأميرية، القاهرة، 1916، ص، 104.، انظر: الفيرز آبادي: **المصدر السابق**، ص، 1233.،وانظر: ل،أ، ماير: **الملابس المملوكية**، ترجمة صالح الشيتي، مراجعة وتقديم، عبد الرحمان فهمي محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1972. ص،68. وانظر: Laure Barthet : **op. cit**. p23.

[31] إبراهيم ماضي: **المرجع السابق**، ص، 210.أنظر: - Michèle Beaulieu **: Le costume Antique et médiéval**, collection que sais je n°501, presses universitaires de France,1951.pp,94-96.

[32] ابن الخطيب: **المصدر السابق**، ص، 28.

[33] إبراهيم ماضي: **المرجع السابق**، ص، 210.أنظر: François Buttin **: « Du Costume militaire au moyen âge et pendant la renaissance»**, in cahiers de civilisation médiévale, volume 15,n°15-60, France,1972 ,pp,314-315.

[34] محمد ابن احمد ابن الشماع: **الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تحقيق وتقديم الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، مطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، 1984. ص، 77. أنظر: أبو العباس ابن القنفذ القسنطيني: **الفاريسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تقديم و تحقيق محمد الشاذلي النيفر و عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968، ص، 142.

ج - القرقل:cuirassé

مفردها قرقل و جمعها قرقلات ، وهو ضرب من الثياب في لسان العرب[35]، أما المغاربة فيسمون القرقل المصفح الديباجي، وكان يصنع من رقائق الحديد المجمعة مع بعضها بدقة ومتانة و أجودها مالم تكن واسعة أو ضيقة مع حشوها بالحرير الخام[36]، حتى لا يتأذى منها بدن الجندي، وأحسن وصف لهذا الزي في الغرب الإسلامي احتفظ لنا به صاحب كتاب سراج الملوك عند ذكره لمعركة طرطوشة بالأندلس إذ قال في هذا الأمر: " وكان المسلمون في خسران، فأفزع المقتدر –إبن هود- ذلك وفرق المسلمون من شر ذلك اليوم، فدعا المقتدر رجلا من المسلمين، لم يكن في الثغور أعرف بالحرب منه، يسمى سعدارة فذهب هذا الأخير زيه زي الروم وكلامه كلامهم، لمجاورتهم وكثرة مخالطتهم فانغمس في عسكر الكفار ثم صعد إلى الطاغية فألفه مكفنا في الحديد – القرقل - لا يظهر منه إلا عيناه، فاخذ يتخيله ويترصد غفلته، حتى أمكنته الفرصة، فحمل عليه وطعنه في عينه فخر صريعا." [37]يفهم من هذا الحديث رغم قصره أن القرقل سلاح وزي وقائي معا صنع من صفائح الحديد، يغطي كامل البدن من قمة الرأس إلى أخمص القدم، فلا يظهر من المقاتل إلا عيناه، وبالتالي لايستطيع الحراك بخفة في ميدان المعركة، الأمر الذي يجعلنا نرجح أن استخدامه كان محصورا لدى كبراء و قادة الجند والفرسان الروم دون سواهم من الحشود العسكرية الأخرى في جيش يغمراسن اعتبارا أن الأزياء الأندلسية والمغربية لهذا العصر مستمدة من بعضها وتكاد تتشابه فيما بينها نتيجة الاحتكاك والمصاهرة . وقد استمر ارتداء القرقل عند الجنود الروم _ الأسبان _ خلال حملات الاسترداد التي قادها فرناندو ملك قشتالة في سنة غضون (897هـ/1492م) حيث ورد في هذا الصدد:" وقد خرج موكب عظيم من معسكر النصارى، يضم قوة عسكرية كبيرة، كانت مقدمة هذا الفيلق من الخيالة قوية التسليح بحيث تبدو للناظر وكأنها كتلة متحركة من الصلب..."[38]

ثالثا:زي الأيدي.Harnais de bras

لقد استخدمت بعض الألبسة المعدنية الواقية لمختلف أجزاء البدن لحمايته، ولا شك أنها صممت بحسب شكل كل عضو على حدة، إذ أدخلت في الحسبان مقاسات المفاصل وأخذ بعين

---

[35] ابن منظور: **المصدر السابق**، ج04،ص، 82.

[36] محمود ابن محمود ابن منكلي: **كتاب التدبيرات السلطانية في سياسة الصناعة الحربية**، تحقيق صادق محمود الجميلي، نشر مجلة المورد، العدد04، المجلد 12، الدار الوطنية للنشر والتوزيع والإعلان، بغداد، العراق، 1983.ص، 362.

[37] أبو بكر الطرطوشي: **سراج الملوك**، حققه وعلق عليه نعمان صالح الصالح، دار العاذرية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض المملكة العربية السعودية، 2005، ص،488.

[38] واشنطن ايرفينج: **سقوط غرناطة آخر الممالك الإسلامية بالأندلس**، ترجمه وعلق حواشيه إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1988.ص،445.

الاعتبار التشريح الفيزيولوجي للجسم الخارجي للجنود وكان للأيدي نصيبا منها، واشتهر استعمالها بشكل كبير من طرف الجنود الروم خلال الحروب التي خاضها يغمراسن ضد خصومه ومن نماذجها تلك:

أ- واقيات الأيدي:

استعمل الجنود الروم واقيات الأيدي المصنوعة من خامات متنوعة ، وقد اشتهر منها الدستبان وهي في القواميس والمعاجم المتخصصة لفظة فارسية مكونة من دست بمعنى يد و بان أي رباط، والمقصود منها رباط اليد لتدل أخيرا على قفاز، وقيل أنه قفاز طويل من حديد يلبس في أيام الحرب[39]. كما استخدمت واقية الساعدين والعضد وهي متصلة بأكمام الزرد، وكانت تتخذ شكلي الساعد و العضد بحيث تضيق من ناحية الرسغ وتتسع من ناحية الكوع وتلتصق بها رقائق معدنية صغيرة تضم إليها حلقات كتلك التي تستعمل في صناعة الدروع ولابد أن تدعم واقية الساعدين و العضد ببطانة جوفية من القماش ونحوه لتحاشي احتكاك الرقائق والألواح المعدنية الصغيرة بجلد لابسها. كما استعملت واقيات الأيدي من الزرد الخالص، ثم استغني عن هذا النوع ليأتي مكانه زي أخر وهو قفاز (gantelet) منفصل عن الساعدين المعدنيين يتم صنعه من القماش المكسو بقطع معدنية مرنة قدت على هيئة قشور السمك أو رقائق حديدية صغيرة لتغطية أعلى الأيدي[40](40).

رابعا: زي الساقين: Harnais de jambe

أهتم أولئك الجنود بحماية الجزء السفلي من البدن كالفخذ والركبة والساق وذلك باتخاذ واقيات من رقائق الحديد تمشيا مع ماكانوا يرتدونه من دروع لتكسية النصف العلوي للجسد، وكانت واقية الرجل تتسع من أعلى وتضيق من أسفل، ولا مراء أن الجوارب القطنية استخدمت أيضا كغطاء للساق إذ كانت تصل حتى أسفل الركبة، ثم يلبس فوقها الطماقات وهي شبيهة إلى حد كبير بكلسات الزرد التي استخدمت لدى أفراد الجيش المملوكي لتلك الفترة على أغلب الظن. واللافت للإنتباه أن واقيتي الفخذ(cuissard)، والركبة (genouillère)، والساق(cubitière) كانت تتخذ شكل تقوسات الفخذ والركبة والساق، وتدعم بسيور جلدية لربطها بالفخذ، وترتبط واقية الركبة بواقية الفخذ من أسفل بحلقات الزرد. كما وضعوا أيضا الجرموق فوق

---

[39] رجب عبد الجواد إبراهيم: **المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث**، تقديم محمود فهمي حجازي و راجع المادة المغربية عبد الهادي التازي، دار الأفاق العربية، القاهرة، مصر ، 2002، ص، 173.

[40]إبراهيم ماضي: **المرجع السابق**، ص ص، 216-217.

الطماقات الجلدية الشبيهة بالجزمات الطويلة ذات العنق[41].

خامسا: زي القدم Harnais de pied

أستخدم الجنود الروم كغيرهم من عساكر الأمم أمثالهم أو التي سبقتهم أحذية مغلقة ومنخفضة، و مغلقة وعالية من صنف (bottines à laçage) وهي غالبا ما تكون من زرد أو من جلد تسمى الأخفاف و تشبه تماما جزمات المقاتلين الغرناطيين في عصر بني الأحمر، فلا يعقل أن يمشي المقاتل في أرض المعركة حافي القدمين أو عاري البدن مثل المقاتلين الكلدانيين في بلاد الرافدين إبان العصور القديمة، ولابد على هؤلاء أن ينتعلوا الأحذية التي تسهل لهم عملية الزحف أو التحرك برشاقة أثناء التحام الصفوف، أو أثناء التقاء الكراديس المتناحرة، أما الفرسان و أضرابهم فاستعملوا أنواعا أخرى من الأحذية الأكثر متانة ومن الخامات ذاتها وأشهرها التماقات، على الرغم من ثقلها الذي يعرقل الوثوب ويجعله بطيئا وبالتالي يربك الفرسان إذا ما باغتهم أحد من أعدائهم. كما شاع في القرن الثالث عشر الميلادي السابع الهجري استعمال واقية القدم (soleret)، وهي أيضا من زرد يتم وضعها فوق القدم وتربط بإحكام بواسطة سيور وخيوط جلدية من الأسفل .

سادسا: لوازم مكملة للأزياء العسكرية Les accessoires

هي تلك اللوازم المكملة لزي الجنود التي لا يمكن التخلي عنها إطلاقا لأهميتها، كالأحزمة والمناطق الجلدية المطرزة و المكسوة بالمخمل التي تعد كعنصر ذي أهمية بالغة لتزيين الثياب العسكرية من الخارج، إضافة إلى الكنائن والأغمدة التي كانت تصنع في معامل محلية، فلا يستغني عنها الجنود لحمل السهام والسيوف والخناجر[42].(42) فضلا عن الزي الداخلي الذي أراه من الأشياء الإضافية الضرورية كالسروال الذي يطلق عليه في الفارسية لفظ شلوار، ويلاحظ أن هذا الزي استعمل على نطاق واسع في أسبانيا وفقا لما ذكره دوزي في قاموسه، وقد يصل السروال حتى الأقدام ويكاد يلتصق بالسيقان

---

[41] - Robert Brun : op cit.pp,221-222 . ، أنظر: - Ralph Payne Gallwey : **The Book of the Crossbow**, Dover publications, INC , New York.1995.pp,149-151.
- José Marchesi **: Album De LA Caballeria Espanola** , desde sus primitivos tiempos hasta eldia / por el conde de clonard ; publicado por la direccion general del arma , imprenta y litografia militar del atlas.Madrid ,1861.pp, 105 – 106.
- El Marqués de Guad-el-jelu **: Album De LA Infanteria Espanola,** imprenta y litografia militar del atlas .Madrid ,1861.pp,11-12.

R.P.A.Dozy : **Dictionnaire Détaillé des Noms des vêtements chez les arabes.** Librairie du Liban,Beirut.s.d.pp.205-207.

[42] صالح محمد أبودياك:"**ألبسة المسلمين إبان سقوط غرناطة وتأثيرها على الزي المغربي**" ،المجلة العربية للعلوم الإنسانية، عدد26، مجلد7.جامعة الكويت،الكويت،1987ص،146.أنظر:

إذ يظهر وكأنه جورب جاء على هيئة الألبسة المصممة على طراز الباروك الذي شاع في أوروبا خلال القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي. وهناك أيضا التبان وهو من الملابس اللازمة للجنود و أصله فارسي يدل على سروال داخلي قصير، وزيادة إلى ذلك فهو سروال المصارع أي يمكن دمجه ضمن الملبوسات الحربية، و هو أيضا سروال صغير مقدار شبر يستر العورة المغلظة وتذكره العرب والجمع تبابين. أما التحتانية فتلبس أسفل الثياب الفوقانية وقد سميت كذلك نسبة إلى تحت وهي عادة ما تكون من قطن[43].(43)

وتبعا لما قدمناه من معطيات موثقة ومدعمة بالنصوص التاريخية على قلتها وشحتها واستنادا إلى صور الأزياء العسكرية الإسبانية المستمدة من الكتالوجات الخاصة الأصلية التي لاغلو فيها ولا تحريف، يتبين بوضوح أن السلطان يغمراسن بن زيان استخدم في جيشه دون شك الفرق المسيحية – المرتزقة- والجنود الروم المستقدمين من مملكتي أراغون وقشتالة، ثم من مملكة قطلونية لاحقا. وقد كشفت هذه الدراسة بما لايدع مجالا للشك أن هؤلاء الجنود كانوا يرتدون الأزياء العسكرية ذات الأنماط المسيحية من قمة الرأس إلى أخمص القدم امتثالا لأوامر الباباوات والقساوسة أرباب الكنائس وتعليمات الملوك الأسبان أنفسهم، مع اتخاذ البنود والأعلام والرايات والشعارات العسكرية الخاصة بكل مملكة ينتمون إليها بما تحمله من صلبان ورسوم أدمية وحيوانية مخالفة للدين الحنيف، والامتناع عن ارتداء الملبوسات العسكرية الزيانية بموافقة من سلطان مملكة تلمسان نفسه، وقد أذن لهم هذا الأخير بذلك على الرغم من الحروب الصليبية التي شرعت نيرانها في التهام الأخضر واليابس، ونمو نشاط حركة الاسترداد في الأندلس و تفاقم روح العداء ضد المسلمين التي كانت متفشية آنذاك في تلك الربوع.

---

[43] ثريا نصر: **موسوعة تاريخ الأزياء الأوروبية ومكملاتها وزخارفها وتطريزها**، عالم الكتب، نشر، توزيع، طباعة. القاهرة، مصر،2008 . ص ص، 158-169. أنظر:رجب عبد الجواد إبراهيم: المرجع السابق. ص ص،89-90. أنظر: صالح يوسف بن قربة:" **مقدمة لدراسة الملابس المغربية - الأندلسية في العصر الإسلامي من خلال المصادر التاريخية والأثرية**"، مجلة التاريخ العربي، العدد الرابع عشر،المملكة المغربية،2000.ص ص، 55 – 57.وانظر:

-Gerry Ebleton**: Medieval Military costume**, published by Crowed press,
 - El Marqués ‹England ,2000.pp.32-33. ; voir : pp,21-22.
de Guadel-jelu



الصورة رقم (1): أزياء رماة الرجل والقوس الإفرنجية الروم – الأسبان- في القرن الثالث عشر عن (El Marqués de Guad-el-jelu)



الصورة رقم(2): أزياء الفرسان الروم – الأسبان- خلال القرن الثالث عشر

عن (José Marchesi)